فتح

الملك الكبير المتعال

في تقديم الحق على آراء الرجال

(رد على الشيخ الظواهري)

بقلم

أبو السعد النجدي

(غفر الله له ولوالديه وزوجه وذريته)



مؤسسة البتار الإعلامية

Al-Battar Media Foundation

فَتحُ المَلك الكَبير المُتَعال في تَقديم الحَق عَلى آراء الرجال

(رَدٌ عَلى الشيخِ الظَواهِري)

بقلم/

أبو السَعد النّجدي

غَفَر اللهُ لَهُ ولوالديه وزَوجِه وذُريتِه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصَحبه ومَن والاه، أمّا بعد..

فقد صَدَر مِن الشيخ أيمن الظواهري بيان رثى فيه أبو خالد السوري، واتهم الدولة الإسلامية في العراق والشام بقتله، وقبل الكلام عَن البيان، أُحبُ أن أبينَ بعض المسائل المهمة وهي:

أولاً: أنّ سُنة الله تعالى أن جَعل هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال ابن كثير: (أي ليختبركم، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله، على شريعة رسول الله، فمتى فَقدَ العمل واحداً مِن هاذين الشرطين بطل وحبط).

وروى مُسلم عَن عياض بن حمار عن النبي ﷺ، أنّ الله قال له: (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)، وهذا الابتلاء ليس ابتلاء بالشر والأعداء فحسب، كما يظن ذلك بعض الناس، بل هو ابتلاء بأمورٍ كثيرة وأنواعٍ مختلفة، فتارةً يكون الابتلاء بالضراء، وتارةً يكون بالسراء، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وكما روى الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف قال: (ابتلينا مع رسول الله بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر)، وتارةً يكون الابتلاء بالأعداء البغضاء، وتارةً يكون بالقدوات الأحباء، وبالكبار الشرفاء، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، قال طاووس: (سادتنا يعني الأشراف ، وكبراءنا يعني العلماء) رواه ابن أبي حاتم، قال ابن كثير: (أي اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أنّ عِندهم شيئاً، وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء)، وروى البخاري في صَحيحه عَن عبدالله بن زياد الأسدي قال: (لما سار طلحه والزبير وعائشة إلى البصرة، بَعث علي

عمّار بن ياسر وحسن بن علي، فسمعتُ عَمّاراً يقول: إنّ عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنّ الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليَعلم إياه تطيعون أم هي) ورواه في موضع آخر عن أبي وائل قال: (لما بعث علي عمّاراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم، خَطب عمّار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها، قال ابن حجر: قال بعض الشراح: الضمير في "إياه" لعلي، ثم قال ابن حجر: والظاهر خلافه وأنه لله تعالى، والمراد إظهار المعلوم كما في نظائره، والمراد باتباع الله اتباع حُكمه الشرعي في طاعة الإمام وعدم الخروج عليه).

ثانياً: خطورة زلة العالم: ينبغي للناس الحذر مِن زَلة العالم، فإنّ العامّي إذا زلّ في شيء مِن أمرِ الله زلّ لوحده، ولم يضّر إلا نفسه، لكنّ العالم الذي ينظر إليه الناس بعين الإعجاب ويعاملونه بالتقدير والاحترام، ويثقون بما يقوله مِن أقوال، ويحكم به مِن أحكام، ويعملون بما يُرشد إليه في سائر الأيام، فإذا زلّ مَن كان هذا شأنه، ضَلّ بسببه أممٌ عظيمة ونفوس كثيرة، ولذلك روى الدارمي عن زياد بن حدير قال: (قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الاسلام، قلتُ: لا، قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق في الكتاب وحكم الأئمة المضلين)، فهذا الفاروق الملهم عُمر رضي الله عنه يبين أن زلة العالم تهدم الاسلام لما له بين الناس مِن مكانه، وفي قلوبهم من منزله ، وقد يتساءل البعض فيقول: وكيف أعرف زلة العالم مِن هِدايته، وهو أعلم مِني بالحلال والحرام، وأفقه مِني بالكتاب والسنة ؟

وقد أجاب على هذا السؤال الصحابي الجليل معاذ ابن جبل رضي الله عنه، فقد روى أبو داوود عن أبي ادريس الخولاني أنّ معاذ بن جبل قال: (إن مِن ورائكم فتناً –إلى أن قال– وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فقلتُ لمعاذ: وما يدريني رحمك الله أنّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال: بلى، اجتنب مِن كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه ؟ ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجِع، وتلقّ الحق إذا سمعته، فإن على الحقِ نوراً)، قال صاحب عون المعبود:

"زيغة الحكيم" أي انحراف العالم عَن الحق والمعنى، أحذركم مما صدر مِن لسان العلماء مِن الزيغة والزلة وخلاف الحق فلا تتبعوه، والمشتهرات أي الكلمات المشتهرات بالبطلان، والتي يقال لها ما هذه، أي يقول الناس إنكاراً في شأن تلك المشتهرات ما هذه، "فإن على الحق نوراً" أي فلا يخفى عليك كلمة الحق وإن سمعتها من المنافق، لما عليها مِن النور والضياء، وكذلك كلمات الحكيم الباطلة لا تخفى عليك، لأن الناس إذا يسمعونها ينكرونها لما عليها من ظلام للبدعة والبطلان، انتهى كلامه، نعم هكذا تُعرف زلة العالم، لمخالفتها للكتاب والسنة، ومُناكبتها لمنهج سلف الأمة، وحيادها عَن طريق أهل السنة فيكون زللها واضح بيّن لكل ذي بصيرة، تستنكره قلوب العامة وتستغربه الألسنة.

ثالثاً: لا طاعة مُطلقة إلا لله ورسوله: يجب أن يُعلم أن الطاعة المطلقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قال ابن كثير أي اقتفوا أثار النبي الذي جاءكم بكتاب أُنزل مِن ربِ كل شيءٍ و مَليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول ﷺ إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عَن حُكم الله إلى حُكم غيره، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، قال ابن تيمية: (فأمر عِند التنازع بالرد إلى الله وإلى الرسول، إذ المعصوم لا يقول إلى حقاً)، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال ابن كثير: أي عَن أمرِ رسول الله ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفة فهو مردود على قائله وفاعله كائناً مَن كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَن عَمِل عَملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، وقال الأمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى أبي سفيان، والله تعالى يقول: (فليحذر)، أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك، لعله إذا البعض ردّ قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، وقال ابن تيمية: (ومَن عُلم أنه قال الحق في مَوارد النزاع وجب اتباعه، كما لو ذكر آية من كتاب الله تعالى أو

حديثاً ثابتاً من رسول الله يقصد به قطع النزاع، أما وجوب إتباع القائل في كل ما يقوله من غير ذكر دليل على صحة ما يقول، فليس بصحيح، بل هذه المرتبة هي مرتبة الرسول التي لا تصح إلا له كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وصَدَق رَحمه الله، فقد روى الشيخان عَن علي أنّ النبي بعث جيشاً وأمّر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً وقال ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون إنما فررنا منها، فذكروا للنبي ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: (لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة)، وقال للآخرين: (لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف)، بل إن أئمة الإسلام حَثوا أتابعهم على إتباع الكتاب والسنة وتقديمهما على أقوالهم اذا تعارضت معهما، قال أبو حنيفة: (هذا رأي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي خير منه قبلناه)، وقال مالك: (إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة)، وقال الشافعي: (إذا صَحّ الحديث فاضربوا بقولي الحائط)، وقال أحمد: (مِن قِلة عِلم الرجل أن يُقلد دينة الرجال)، وقال: (لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا)، قال ابن تيمية: (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يأخذ مِن قوله ويترك إلا رسول الله، وهذا مِن الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الانبياء يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عَن الله، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يُعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً وإن كان صاحبه من أولياء الله، وقال: وكثيرٌ مِن الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي الله، ويظن أنّ ولي الله يُقبل مِنه كل ما يقوله ويسلّم إليه كل ما يقوله وكل ما يفعله، وإن خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف مابعث الله به رسوله الذي فرضَ اللهُ على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما

أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، إلى أن قال: فتجره مُخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص إلى البدعة والضلالة أولاً، وإلى الكفر والنفاق آخراً، وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال: وكل مَن أمر الله بطاعته مِن عالمٍ وأمير ووالد وزوج، فلأن طاعته طاعة لله، فإذا أمر بخلاف طاعة الله فلا طاعة له، وقال: وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة لابد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل).

وإذا عُلمَ هذا، فإن الواجب على المسلم أن يعطي الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ، وأن يُعمل عَقله وفِكره في مَعرفة الحق وأهله عَن طريقهما، وأن يجعل مَصدر التلقي الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من القرون المفضلة، وأن لا يسلم عَقله لأحدٍ مِن الناس يحلل له ويحرم ويشرع، ويوالي على ذلك ويُعادي، فإن أفهام الناس مُختلفة وعقولهم متفاوتة، ومَن كان مَصدره لمعرفة الحق شخصاً بعينه مِن غير عَرض لكلامه على الكتاب والسنة، فسيفوته كثير مِن العلم والحق، ويقع في كثير من الجهل والباطل، ولهذا روى الدارمي عن أيوب السختياني أنه قال: إذا أردت أن تعرف خطأ مُعلمك فجالس غيره.

رابعاً: إلتزام الحق والرجوع إليه: الواجب على المسلم أن يحرص على التزام الحق، فإن أخطأه وعَلم بخطئه، وجب عليه ترك الباطل والرجوع إلى الحق، فإن الوقوع في الخطأ ليس عيباً، بل هو مِن طبيعية بني آدم، لكن العيب في التمادي في الباطل وعدم الرجوع إلى الحق بعد معرفته، وقد قال عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى الأشعري: (ولا يمنعك قضاء قضيته في اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومُراجعة الحق خير مِن التمادي في الباطل)، وقال ابن تيمية: وكان عمر بن الخطاب يقر على نفسه في مواضع في مثل هذه، فيرجع عَن أقوالٍ كثيرة إذا تبين له الحق في خلاف ما قال، ويسأل الصحابة عَن بعض

السنة حتى يستفيدها منهم، ويقول في مواضع: والله ما يدري عمر أصاب الحق أو أخطأه، ويقول: إمرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ، ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عَن النبي ﷺ أنه قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن كان في أمتي أحد فعُمَر)، وفي الترمذي: (لو لم أُبعث فيكم لبُعث فيكم عمر)، وقال: (إنّ الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه) أخرجه الترمذي، فإذا كان المحدث الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه بهذه المنزلة يشهد على نفسه بأنه ليس بمعصوم فكيف بغيره من الصحابة وغيرهم الذين لم يبلغوا منزلته، وقد ندم ابن عمر على اعتزاله أيام عبدالله بن الزبير كما روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، أنّ ابن عمر حين سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾، قال: ما وجدت في نفسي شيئاً في أمر هذه الآية إلا ما وجدت في نفسي أني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمر الله)، وثبت في صحيح مسلم أن ابن عباس وابن عمر رجعا عَن قولهما في جواز رِبا الصرف، وهذا الإمام الشافعي له قولان "القديم والجديد" وللإمام أحمد في بعض المسائل أكثر مِن قول، وقد رجع عَن بعض أقواله في آخر حياته.

وهؤلاء الصحابة والأئمة يَضربون لمن جاء بعدهم أروع الأمثلة في الحرص على التزام الحق والرجوع إليه، وعَدمَ التمادي في الباطل، بل إن الأمة جعلت مِن اعترافهم بوقوعهم بالخطأ وتبرأهم منه والرجوع إلى الحق والتزامهم له، منقبة عظيمة ورتبة رفيعة، دالةً على تواضعهم وصدقهم ومحبتهم للحق وبغضهم للباطل، فقد روى الحاكم عَن عبدالله بن مليك العجلي قال: سمعت ابن عباس قبل موته بثلاث يقول: اللهمّ إني أتوبُ إليك مما كنت أفتي للناس في الصرف، قال الحاكم: وهو مِن أجل مَناقب ابن عباس أنه رجع عَن فتوى لم ينقم عليه غيرها، وفي مَن مَضى قُدوة صالحة لكل مَن أخطأ الحق ووقع في الباطل أن يتوب إلى الله ويرجع إلى الحق ويتبرأ مما وَقع فيه مِن الباطل.

خامساً: التجرد والابتعاد عن الحزبية المقيتة: مِن أعظم أسباب ترك الناس للحق واتباع الباطل، الحزبية المقيتة البغيضة، كما حدث مِن اليهود بكفرهم وتركهم اتباع النبي ﷺ مع عِلمهم

أنه رسول الله تعصباً وحزبية وقومية، ووقع هذا كثيراً في أمة محمد تعصباً للأئمة والمذاهب والأحزاب والقبائل والبلاد، حتى قال بعض الفقهاء(الكرخي من الحنفية): كل حديث خالف مذهبنا فهو ضعيف أو منسوخ، وروى النسائي عن سعيد بن جبير قال: كنتُ مع ابن عباس بعرفات فقال: مالي لا أسمع الناس يلبون ؟ قلت: يخافون مِن معاوية، فخرج ابن عباس مِن فسطاطه، فقال لبيك اللهم لبيك، فإنهم قد تركوا السنة مِن بغض علي، والواجب والمتعين على المؤمن الصادق اتباع الدليل مِن الكتاب والسنة والتجرد في ذلك والابتعاد عَن الحزبية المقيتة بشتى أشكالها وأنواعها، وقد روى ابن أبي عمر عن طاووس أنَّ معاوية قال لابن عباس: أعَلَى مِلة ابن أبي طالب أنت ؟ قال: لا، ولا على مِلة ابن عفان، فقال معاوية: فعلى أي مِلة أنت ؟ قال على مِلة رسول الله، وهذا هو تمام التجرد وإخلاص المتابعة لرسول الله ﷺ.

سادساً: إنصاف الناس والعدل مع الأولياء والأعداء: النفس مَجبولة على قبول واستحسان ما يأتي مِن الحبيب الموالي، حتى وإن كان باطلاً، ورد واستقباح ما يأتي مِن البغيض المعادي، حتى وإن كان حقاً، والأمر كما قال الشاعر: وعَين الرضا عَن كل عَينٍ كليلةٍ، لكن عَين السُخطِ تُبدي المساويا،

ولا يُطّهر النفس مِن هذه الأدران إلا أنهار الكتاب والسنة وماء الوحي ومراقبة الله ومخافته، وقد قال الله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، وهذا قدوتنا ﷺ يقول عَن الشيطان في شأن آية الكرسي: (صدقك وهو كذوب) رواه البخاري، ويُصدق اليهودي في قوله: (إن الله يضع الأرض على أصبع ..) رواه الشيخان، وانظر يا رعاك الله إلى أصحابه وإنصافهم لخصومهم، ففي الصحيحين عَن عائشة في قصة الإفك أنّ النبي قال لزينب: ما علمتي ما رأيتِ ؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت عائشة وهي التي كانت تساميني فعَصَمَها الورع، وفي مسلم أن عائشة قالت بعد

ذكرها خصومةً بينها وبين زينب عند رسول الله: لم أرَ امرأة قط خيراً في الدين مِن زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وعِند الحاكم عَن عمرو بن غالب أنّ رجلاً نال مِن عائشة عِند علي، فقال له عمار بن ياسر: أسكت مقبوحاً منبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ، وعِنده أنّ نَفراً سبّوا عَلياً عِند سعد بن أبي وقاص فنهاهم فقالوا له: فوالله إن كان ليبغضك ويسميك الأخنس، فضحك سعد حتى استعلاه الضحك ثم قال: أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر يكون بينه وبينه ثم لايبلغ ذلك أمانته.

وعند الحاكم عَن قيس بن أبي حازم أنّ سعداً قال لمن شَتم عَلياً: يا هذا، علاما تشتم عَلياً، أليس أول مَن أسلم وصلى مَع رسول الله ﷺ وأزهد الناس، ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهمّ إنّ هذا يشتم ولياً مِن أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك، وعنده أنّ بلالاً قال لأناس سألوا أخ له خطب منهم: أنا بلال بن رباح وهذا أخي وهو امرؤ سيء الخلق والدين، فإن شئتم أن تزوجوه فزوجوه، وإن شئتم أن تدعوا فدعوا، فقالوا: مَن تكن أخاه نزوجه فزوجوه.

سابعاً: عَدَم المُجاملة في الدِين: مِن أهم أسباب تَرْكُ بعض الناس للحقِ واتباعهم للباطل، المجاملة للأحباب والأصدقاء والأقارب والأصفياء، والأتباع والرفقاء، والمتبوعين والشرفاء، وهذا لم يكن موجوداً عند النبي ﷺ وأصحابه، فقد كان لسان حالهم "فلان حبيبنا لكن الحق أحب الينا منه"، فهذا نبي الله ﷺ لم يُجامل حِبه وابن حِبه أسامة بن زيد حين قَتل مَن قال لا إله إلا الله، ولم يُجامل سيف الله المسلول خالد بن الوليد حين قتل في بني جذيمة متأولاً وقال: (اللهمّ إني أبرأُ إليك مما صَنع خالد مرتين)، ولم يُجامل أحبّ أصحابه أبا بكر، كما روى مُسلم عَن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وبلال وصهيب في نفرٍ فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله مِن عُنق عدو الله مأخذها، فقال أبي بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم، فأتى النبي فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال:

يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا، يغفر الله لك يا أخي، وروى البخاري عَن حرملة قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك، فقل يقول لك: لو كنت في شدقِ الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمرٌ لم أره، قال ابن بطال: أرسل أسامة إلى علي يعتذر عن تخلفه عنه في حروبه ويعلمه أنه أحب الناس إليه، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء، إلا أنه لا يرى قتال المسلم. اه

وفي صحيح مُسلم عن عامر بن سعد قال: كان سعد في إبله فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله مِن شرِ هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فضرب سعد في صدره فقال: أسكت، سَمعتُ رسول الله يقول: إنّ الله يحب العبد التقي النقي الخفي.

ثامناً: مَن يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين: مِن أعظم أسباب سُلوك طريق والثبات عليه بعد توفيق الله، العِلمُ الشرعي والتفقه في الدين، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وفي صحيح مسلم عَن أبي هريرة مرفوعاً: (مَن سَلكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة)، وقال الثوري: ما أعلَم عَملاً أفضل مِن طَلَب العِلم وحِفظه لمن أراد الله به خيراً، قال: وقال الحسن بن صالح: (إنّ الناس يحتاجون إلى هذا العلم في دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب في دنياهم) رواه الدارمي، وروى عَن عمر بن عبدالعزيز: (أنه مَن تعبدَ بغير عَلمٍ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح)، وقد روى البخاري حديث المغيرة مرفوعاً: (لايزال طائفة مِن أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)، وحديث معاوية مرفوعاً: (مَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال مِن أمتي أمّة قائمة على أمر الله، لا يضرهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله)، وبَوبَ عليهما بقوله: (باب قول النبي ﷺ: (لاتزال طائفه من أمتي ظاهرين على الحق)، ثم

قال: وهُم أهلُ العلم، وهذا استنباط جميل مِن البخاري رحمه الله، حيث أنه لمحَ أنّ النبي جَمعَ في حديثٍ بين الحث على العلم وبين الطائفة المنصورة، فدلّ هذا الجمعَ على أن طلب العلم والتفقه في الدين مِن أعظم أسباب سلوك الصراط المستقيم والثبات عليه، ودخول المسلم في الطائفة المنصورة، وفي المقابل فإن ذهاب العلم بذهاب العلماء سَبب كبير في ضلال الناس وابتعادهم عَن الصراط المستقيم، كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: (إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه مِن العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقى عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير عِلمٍ فَضلّوا وأضلّوا).

وأهمّ العِلم الشرعي هو العِلم بالعقيدة والتوحيد ومنهج السلف الصالح والقرون المفضلة، والحِرص على أخذ هذا العلم مِن العلماء الأثبات من أتباع السلف الصالح، والعِلمُ بالمناهج المنحرفة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، والحذر مِن مجالسة أصحابها، فقد روى الدارمي عن محمد بن سيرين قال: (انظروا عَمّن تأخذون هذا الحديث فإنما هو دينكم)، وروى عَن أبي قلابة قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ماكنتم تعرفون)، وإذا كان الناس بحاجة شديدة إلى العلمِ الشرعي، فإن مَن انبرى للجهاد والدعوة إلى الله أشدّ حاجةً إلى ذلك حتى يكونوا ممن يدعون إلى الله على بصيرة.

تاسعاً: مُراعاة المَصالح والمَفاسد: الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل خير الخيرين ودفع شر الشرين كما قال ابن تيمية، والنبي تَرَكَ قتل المنافقين مَع أنّ فيه مصلحة عظيمة، درءاً لمفسدة صدّ الناس عَن الدخول في الإسلام (حتى لا يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، كما في الصحيحين عَن جابر، وترك هَدم الكعبة وبناءها على قواعد ابراهيم، وهو أمرٌ واجب وفيه مصلحة عظيمة، لأن قريش حديثو عهدٍ بكفر، فتستنكر ذلك قلوبهم كما في الصحيحين مِن حديث عائشة، وفي البخاري عَن ابن عمر: (لما قال معاوية مَن كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنة، فلنحن أحقّ به منه ومن أبيه ؟ فقال حبيب ابن مسلمة لابن عمر: فهلا أجبته، فقال ابن عمر: فحللت حَبوتي وهَممتُ أن أقول: أحقّ بهذا الأمر مِنك مَن قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيتُ

أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدماء، ويحمل عني غير ذلك، فذكرتُ ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حفظت وعصمت).

ولا شكّ أنّ مِن أعظم المصالح اجتماع كلمة المجاهدين على الكتاب والسنة وتحت أمير واحد، وإن زُعم أنّ لديه أخطاء وعليه ملاحظات، وقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عَن ابن مسعود قال: (إلزموا هذه الطاعة والجماعة، فإنه حَبل الله الذي أمر به، وإنما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)، وفي المقابل فإن مِن أعظم المفاسد تفرق كلمة المجاهدين وانقسامهم شيعاً وأحزاباً، فإنّ هذا عنوان الفشل والهزيمة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، ومِن أعظم أسباب الفُرقة، إخراج البيانات التي تؤجج نار الفتنة وتدق طُبول الحرب بين المجاهدين، وقد روى أبو داوود والترمذي عَن عبدالله بن عمرو مرفوعاً، والراجح وقفه عليه: (تكون الفتنة تستنظف العرب قتلها في النار، اللِسان أشد فيها مِن السيف)، وله شاهد ضعيف عِند ابن ماجة عَنه مرفوعاً: (إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف)، وله شاهدٌ آخر ضعيف أيضاً عِند أبي داوود عَن أبي هريرة مرفوعاً: (وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف)، ولاشك أنّ مَعنى هذه الأحاديث صحيح وإن كانت ضعيفة السند.

عاشراً: السماع مِن الخَصمين قبل الحُكم: الواجب على مَن تصدر الحكم بين الخصمين أن يسمع منهما جميعاً، لأن كل واحدً منهما يدعي أنّ الحق معه، ولأن في ترك السماع مِن أحدهما تفريطاً وتقصيراً في استيعاب الأدلة والبينات والحُجج، وهذا سيفضي بلا ريب إلى الجور في الحكم وظلم أحد الخصمين، فلابد إذن مِن السماع لهما جميعاً، والوقوف على ما معهما مِن أدلة وبينات وحجج، وقد روى أحمد وأبو داوود والترمذي وصححه ابن المديني عَن علي بن أبي طالب قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلتُ: يارسول الله تُرسلني وأنا حديث السن ولا عِلمَ لي بالقضاء ؟ فقال: إنّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع مِن الآخر كما سمعت مِن الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء، قال: فما زِلتُ قاضياً أو ما شَكَكت في قضاءٍ بعد).

الحادي عشر: البَينة على المُدعي واليَمين على مَن أنكر: روى الشيخان عَن ابن عباس مرفوعاً: (لو يُعطى الناس بدعواهم، لادعى ناسٌ دماء رجالٍ وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه)، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية للبيهقي وغيره: (ولكن البينة على المدعي واليمين على مَن أنكر)، ويشهد لها حديث الأشعث بن قيس في الصحيحين قال: (كانت لي بئر في أرض ابن عمر لي، فقال النبي بينتك أو يمينه)، وفي رواية: (شاهداك أو يمينه)، قال القرطبي عَن حديث ابن عباس: (هذا الحديث أصلٌ مِن أصول الأحكام وأعظم مَرجع عند التنازع والخصام)، وقال النووي: (وهذا الحديث قاعدة كبيرة مِن قواعد الشرع، ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعَى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك)، وقال الصنعاني: وإلى هذا ذَهبَ سلف الأمة وخلفها.

الثاني عشر: إنّ بعض الظن إثم: قد حذّر الله مِن إساءة الظنّ بالمسلمين، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وفي الصحيحين عَن أبي هريرة مرفوعاً: (إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث)، قال القرطبي: المراد في الظنّ هنا التهمة التي لا سبب لها، وقال ابن حجر: وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، فدلّ سياق الآية على الأمر بصَون عِرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عَن الخوض فيه بالظن، وإنما صار الظنّ أشدّ مِن الكذب، لأن الكذب بأصله مُستقبح مُستغنى عَن ذَمه، بخلاف هذا فإن صاحبه بزعمه مُستند إلى شيء، فوصف بكونه أشدّ مِن الكذب مُبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أنّ الاغترار به أكثر مِن الكذب المحض لخفائه غالباً ووضوح الكذب المحض. اهـ

وإذا كان الأمر هكذا في إساءة الظن بعموم المسلمين، فكيف يكون في حقّ المجاهدين والمهاجرين والموحدين.

الثالث عشر: محبة أهل السنة: الواجب على كل مُسلم مَحبة اتباع السلف الصالح، وسَلامة القلب لهم وإحسان الظنّ بهم، وسَلامة اللسان في الخوض في أعراضهم والقدح فيهم وفي مناهجهم ونَبزهم بالألقاب القبيحة والأوصاف المشينة، واتهامهم بأنهم مشبهة وحشوية وخوارج

وغلاة ومُتنطعون، وسَلامة الجوارح مِن أذيتهم واستباحة دمائهم وانتهاك أعراضهم، لاسيمّا المجاهدين مِنهم، الذين يقاتلون اليهود والنصارى والمرتدين والكفرة والرافضة والنصيرية.

وعلى كل حالٍ فإن القَدح في أهل السنة وعَيبهم صِفة مِن صِفات أهل البِدع، بَرزت في وقت الإمام أحمد ثم في وقت شيخ الإسلام ابن تيمية ثم في وقت الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ومَن بعده مِن أئمة الدعوة السلفية، ومازالت مُستمرة إلى أيامنا هذه، ولا يتكلم ولا يقدَح في أهل السنة إلا أحد رجلين: إما رجل جاهل في عقيدة أهل السنة، فهو يُهرف بما لا يعرف، ويحكم بما لا يعلم، وهذا كما يقال: جاهل مُركب، لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وإما رجل سوءٍ يعرف عقيدة أهل السنة، لكنه ليس مُلتزماً لها، بل هو مُبغض لها ولأهلها، أمّا الأول فلا يُأبه به ولا يُلتف إليه، وكفى بالجهل المركب فضيحةً له بين أهل العلم، وأمّا الثاني فقد حذرَ مِنه الأئمة وأمروا بهجره ونصوصهم في ذلك متواترة، قال قتيبة بن سعيد: (إذا قال الرجل المشبة فاحذره فإنه يرى رأي جَهم)، وقال أبو زرعة: (فمَن نَسَبَ الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه مِن غير تمثيل ولا تشبيه إلى "التشبيه" فهو مُعطل نافٍ)، وقال بعضهم: (إذا رأيت الرجل يبغض ابن مَعين فاعلم أنه كذاب، وإذا رأيته يبغض حماد بن سلمة فاعلم أنه مبتدع).

ونقولُ لكلِ مَن قَدحَ في أهل السنة مِن المجاهدين وغيرهم ووصفهم بالألقاب القبيحة والأوصاف المشينة: إن كنت لا تدري فتلك مُصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم، فاختر لنفسك ما شئتَ مِنهما.

<u>الرابع عشر: ولاتحاسدوا:</u> جاءت النصوص النبوية ناهية عَن الحسد مُنفرة مِنه كما روى الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: (ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)، وذلك لأن الحسد خُلقٌ ذميم مَع إضراره بالبدن وإفساده للدين، ولما فيه مِن اعتراض على قدرة الله وحكمته وبغض حُصول الخير للمسلمين، قال بعضُ السَلَف: (الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء –يعني حَسد إبليس– وأول ذنب عُصي الله به في الأرض –يعني حسد ابن آدم لأخيه في قتله–)، والحسدُ مِن أعظم أسباب صَدّ الناس عَن اتباع الحق وترك الباطل، كما حَدثَ لإبليس

مع آدم، واليهود مع نبينا محمد ﷺ، وقال بعضُ البُلغاء للناس: (حاسدٍ ومحسود، ولكلِ نِعمةٍ حسود)، وقال الشاعر:

حَسَدوا الفتى إذا لم ينالوا سَعيهِ فالقومُ أعداءٌ له وخُصومُ
كضرائر الحسناءِ قُلنَ لوجهها حَسداً وبَغياً إنه لذميمُ

والواجب على المسلم أن يرضى بقضاء الله وقدره، وأن يحب الخير للمسلمين ولا يحسدهم عليه، ويعترف لأهلِ الخيرِ والفضل بخيرهم وفضلهم ويُثني عليهم.

الخامس عشر: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، هذه الآية تُبين الحِكمة في مشروعية الجهاد والقتال في سبيل الله، فلم يُشرعَ الجهاد مِن أجل عَصبية وطنية، ولا قِبلية ولا حِزبية مَقيتة، وإنما شُرع مِن أجل إعلاء كلمة الله على كلمة مَن سواه، قال ابن كثير في قوله "فتنة" : أي شِرك، قاله ابن عباس وغيره، "ويكون الدين لله" ، يكون دِين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال: سُئل النبي ﷺ عَن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمية ويقاتل رياء، أيُ ذلك في سبيل الله ؟ فقال: (مَن قاتل لتكون كلمةُ الله هي العُليا فهو في سبيل الله)، وفي الصحيحين: (أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله..)، وقال ابن تيمية: والمقصود بالجهاد ألا يُعبد أحدٌ إلا الله.

السادس عشر: موالاة المسلمين وعَدم البراءة مِنهم: الأصل عِند أهل السنة البراءة مِن الكفار والمشركين وموالاة المسلمين حتى وإن كان عِندهم شيءٌ مِن الفسوق، فالمسلم كما يقول ابن تيمية يوالى على ما عِنده مِن خيرٍ وطاعة ويُعادى على ما عنده مِن شر ومَعصية، ولا يجوز البراءة مِنه لأن حسنة لا إله إلا الله أعظم مِن جميع السيئات مما هو دون الكفر والردة، وإنما يُتبرأ مِن عمله، كما قال النبي ﷺ: (اللهمّ إني أبرأ إليك مما صَنع خالد)، ولم يتبرأ مِن خالد نَفسه، ولهذا قال العلماء فيما رواه مسلم من براءة ابن عمر مِن القدرية أنّ هؤلاء الذين تبرأ مِنهم ابن عمر

كانوا يُنكرون عِلمِ الله وكتابته لمقادير الخلائق ويقولون: الأمر أنف، والسلّف كفروا هؤلاء مِن غلاة القدرية، وبَدّعوا مَن سواهم ممن يثبتون العلم والكتابة، ولقد جاء التحذير مِن البراءة مِن المسلم على لسان الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كما روى الحاكم وصحَحه ووافقه الذهبي عَن علي أنه قال: (إنكم سُتعرضون على سبيّ فسبوني، فإن عُرضت عليكم البراءة مِني فلا تبرأوا مِني فإني على الإسلام، فليمدد أحدكم عُنقه ثكلته أمه، فإنه لا دُنيا له ولا آخرة بعدَ الإسلام، ثُم تَلا: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، وبهذا يتبين فَداحة غَلَط مَن أوجبَ على المسلمين البراءة مِن أُناس مِن خيار المسلمين، لأنهم لم يلتزموا بأمرٍ لم يوجبه الله في كتابه ولا رسوله في سُنته.

السابع عشر: عِظَم حُرمة دَم المُسلم: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وفي البخاري عَن ابن عباس مرفوعاً: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مَلحدٌ في الحرم، ومُبتغ في الإسلام سُنة الجاهلية، ومطلب إمرئ بغير حَقٍ ليهريق دمه)، وفيه عَن ابن عمر مرفوعاً: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)، وفيه عَن ابن عُمر موقوفاً: (إنّ مِن وَرطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغيرِ حِلهِ)، وعِند أحمد والنسائي عَن ابن مسعود مرفوعاً: (يجيء الرجل أخذاً بيد الرجل فيقول يارب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته ؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل أخذاً بيد الرجل فيقول: إنّ هذا قتلني فيقول الله له: لم قتلته ؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوأ بإثمه).

الثامن عشر: نُصرة المَظلوم: الواجب على كل مسلمٍ أن ينصرَ أخاهُ المسلم، كما قال النبي ﷺ: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إن كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال: تحجزه أو تمنعه مِن الظلم فإن ذلك نصره)، أخرجاه، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، قال

ابن تيمية فيها: (فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة، فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه مِن رَيب قلبه، ومَرض فؤاده، وتركه ما أمر الله به مِن الجهاد).

التاسع عشر: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)، لاشك أنّ عاقبة الظُلم وَخيمة وعقوبته في الدنيا والآخرة أليمة، وأنّ مآل الظالم إلى الخسران المبين، والبوار العظيم، قال ابن تيمية: فالباغي الظالم ينتقم الله مِنه في الدنيا والآخرة، فإن البغي مَصرعه، قال ابن مسعود: (لو بَغى جبلٌ على جبلٍ لجعلَ الله الباغي منهما دكاً)، وقد قيل: قَضى الله أن البغي يصرع أهله وأنه على الباغي تدور الدوائر، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، وفي الحديث: (ما مِن ذنب أحرَى أن يُعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مِن البغي، وما حسنة أحرَى أن يُعجَل لصاحبها الثواب مِن صلة الرحم) أهـ.

وإذا عُلم هذا، ففي الوقت الذي كُنا ننتظر مِن الشيخ أيمن بياناً يزيل به أسباب الشقاق والاختلاف، وينزع به فَتيل الفتنة والاقتتال، ويُعيد الأمور إلى نُصبها، والمياه إلى مجاريها ويضع النقاط على حروفها، ويأمر الجولاني بالتوبة إلى ربهِ والعودة إلى أصله ومبايعة ولي أمره "أبي بكر البغدادي" ، إذ بالشيخ يخرج بياناً خطيراً، يُوقد به نار الفتنة ويزيد النار اشتعالاً وذروة، ويُوسع به بين المجاهدين الفُرقة، ويَكيل فيه التُهم الباطلة للدولة، بدعوى رثاء أبي خالد السوري -تقبله الله-.

والشيخ أيمن وَفقه الله وهداه ممن يُحفظ له قَدره ومَكانته وجِهاده وسابقته، وهو أخونا وحبيبنا ولكن الحق أحب إلينا منه، ومَرضاة الله مُقدمة على مرضاته، ومِن محبتنا له ولغيره مِن المجاهدين والمسلمين أن ننصح له بنقد كلامه، وبيان زَلله ورَد باطلهِ ومُطالبته بالتراجع عمّا وقع فيه، وتحذيرُ المسلمين مِن هَفواته، بدون اعتداء على شخصه وسيرته، وقد روى الشيخان عن جرير البجلي قال: (بايعتُ النبي على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنُصح لكلِ مُسلم)، وحَقيقةً لا أدري ماذا أتكلم عَن بيانه الذي أرسله بلا خطام ولا زِمام !

هل أتكلم عَن رَكاكة ألفاظه ؟ أم عَن ضَعف أسلوبه ؟

أم عَن عَدم تناسق جُمله ؟ أم عَن خلوه مِن أدلتهِ ؟

أم عَن مُبالغتهِ في مَدح أفراد جماعته ؟ أم عَن تَحاملهِ على إخوانه مِن خارج جماعته ؟

لكني أقفُ مع بيانهِ عِدة وقفات:

1- وجّهَ الشيخ في بيانه التُهمة المباشِرة للدولة الإسلامية في اغتيال أبي خالد السوري، وهذا مِن الشيخ رجماً بالغيب واتهام بالباطل، بدون أي دليل ولا برهان صحيح، وقد تقدم أنّ البَينة على المدعي واليمين على مَن أنكر، وقد رَدت الدولة على اتهامها بشكل واضح بأنها لا علاقة لها بقتله، وأنها لم تَأمر به ولم تُستأمر، فبقي إقامة البينة على الظواهري، وهو لم يذكر أي بينة على اتهامه، إلا قياس الدولة على مَن اتهمهم بأنهم خوارج في أفغانستان والجزائر، وهذه بينة زائفة، وحُجة واهية، بل هي قياسٍ مع الفارق، فهو قياسٍ فاس، لأننا إذا سَلّمنا أنّ مَن قَصَدهم الظواهري وقاسَ عليهم كانوا خوارج فعلاً، فإن الدولة بريئة مِن مَنهج الخوارج، وذلك واضح جَلّي في بياناتها وأقوالها وأعمالها ومعاملاتها وسيرتها ومنهجها، فهي تُصرح بأنها على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنها لا تكفر عُموم المسلمين، ولا تُكفر إلا مَن ارتكب ناقضاً مِن نواقض الإسلام المعلومة عَن أئمة أهل السنة، وتتوعد مَن خالف ذلك مِن جنودها بالمحاسبة والعقوبة، فلم يبقَ إلا أنّ اتهام الظواهري لها مِن إساءة الظنّ بالمسلمين واتهام الأبرياء بدون برهان واللهُ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

2- اتهم الشيخ الدولة وجنودها بفتنة الجهل والهوى والظلم التي تستبيح الدماء والأعراض بالدعاوي والشُبه والهوى والطَمع، وبأنهم جُهّال مُتنطعون سَفكوا الدمَ الحرام، وإني لأقفُ مُتعجباً حَزيناً أن يصدر مثل هذا الكذب والافتراء والبهتان مِن شيخٍ له سَبق قَدم في الجهاد !

إني لأسأل كُل مَن كان في رأسه مسكة عَقلٍ، وكل مَن كان في قلبه ذرة إيمان، فأقول: دَعَك مما في هذا الكلام مِن احتقار للمجاهدين وازدراء لهم، وأجبني بالله عليك أين هي فتنة الجهل والهوى والظلم عند الدولة ؟

هل هي في قتال الرافضة والنصيرية والدفاع عَن أهل السنة ؟

أم هي في إقامة التوحيد والملة وهدم القبور والأضرحة الشركية ؟

أم هي في تحقيق الولاء للمؤمنين والبراءة مِن المشركين والمرتدين ؟

أم هي في تحكيم الشريعة الإسلامية والكفر بالطاغوت والديموقراطية ؟

أم هي في حفظ الضروريات الخمس، ومُحاربة اللصوص وقُطاع الطرق واستتابة الأمن ؟

أم هي في إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في فَرض الجزية على النصارى الضالين بالكتاب المستبين والعَدل المبين ؟

أم هي في تربية الأمة على الحِجاب والفضيلة والأخلاق الحميدة، وإلزامهم بصلاة الفريضة، ومُحاربة المعاصي والمنكرات والرذيلة ؟

أم هي بنشر الكتاب والسنة ومُحاربة الجهل والبدعة ؟

أين الجهل والهوى والطَمع والتَنطع في الدولة يا حكيم الأمة ؟!

بَينهُ لنا بأمثلة واقعية حِسية، وأنّى لكَ ذلك، فدونه خَرط القتاد، ثم أين استباحة الدماء والأعراض؟

وهل كل مَن دافع عَن نفسهِ ودمهِ وعِرضهِ، وقام بدفع الصائل والمرتد عنه يكون مستبيحاً للدماء والأعراض ؟

إذا كان الجواب بنعم إذاً فالقاعدة وطالبان أفغانستان وباكستان تستبيح الدماء بما تقوم به مِن عمليات استشهادية تَصد المرتدين، ولا يقول هذا إلا كل ضال مُضل.

ثم مَن هو الذي استباح الدماء والأعراض، أهي الدولة حين دافعت عَن نفسها ؟ أم مَن هاجمها من البُغاة والمرتدين بغتة وغدراً وخيانةً وعلى غِرة، فقتل مَن قَتل مِن المهاجرين والأنصار وانتهك مَن انتهك مِن أعراض المهاجرات واحتل ما احتل مِن المقرات والبلدات.

3- تباكى الظواهري على مَقتل أبي خالد السوري لأن له حُرمة ومَشيخة وسَبقاً وجهاداً، ولم نسمع مِن الظواهري كلمة واحدة في مَقتل الكثير مِن المهاجرين واغتصاب أعراض عَدد مِن المهاجرات على أيدي البغاة والمرتدين، فهل هؤلاء يا شيخ الجهاد لا يستحقون مِنك ولا كلمة واحدة ؟ أليس لهم حُرمة "حُرمة وجهاد وفَضل" ؟

لماذا تَكيل يا شيخ أيمن بمكيالين ؟ لماذا تُفرق بين المتماثلين ؟ ولماذا تنظر بعين واحدة ؟ وتسمع بإذن واحدة ؟ وصدق مَن قال: يرى القذى في عينِ غيرهِ ولا يرى الجذع في عينه هو!

4- بالَغَ الظواهري في الثناء على أبي خالد السوري بأنه فَعل وفَعل، وهذا شأنه ولا يُنكر عليه فيه، لكن لماذا تناسى وتجاهل الظواهري الشيخ أبا بكر البغدادي الذي أدّب الرافضة في العراق وكَسرَ شوكتهم ودَفَعَهم عَن أهل السُنة وعَن أعراضهم ودمائهم، وفَكّ الآلاف مِن الأسرى، وأعاد إلى أهل السنة قوتهم وسيادتهم ومكانتهم، وهذا ما سيفعله في الشام بإذن الله، ولكني أقول: أين الإنصاف والعدل يا حكيم الأمة ؟

وأين الثناء على المجاهدين وتأييدهم مِن غيرِ تصنيف لهم ولا تفريق بينهم ؟

5- دَعا الظواهري، بل أوجبَ على كلِ مُسلمٍ أن يتبرأ مِن كل مَن يأبى التحكيم الشرعي المستقل الذي جَعلَ الظواهري وغَيرهِ مَن لم يرضَ بالتحاكم إليه، رافضاً للتحاكم إلى الشريعة زوراً وبهتاناً، وقد كفاني الإخوة الأفاضل في الرَد على هذه الشبهة، لكني أتعجب مِن جُرأة الظواهري على إلزام عامة المسلمين للتبرأ مِن المجاهدين المسلمين، وتلك طامّة كُبرى قد سبقَ تبين حكمها إلا إن كان الظواهري يرى كُفر الدولة الإسلامية وجنودها، على قولِ مَن يقول بكفر الخوارج، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

6- دَعا الظواهري كل المسلمين أن يتصدوا للدولة، وفي هذا الكلام إشعال للفتنة وإيقاد لنارها، وقد عَمِل بذلك الجولاني وأعلن النفير العام لقتال الدولة بعدَ يومين مِن إخراج خطاب الظواهري في وسائل الإعلام، فأين تقدير المصالح والمفاسد يا حكيم الأمة ؟

وأين حُرمة دِماء المسلمين يا شيخَ الجهاد ؟

7- ذكر الظواهري أن في قيام الثورة السورية سَعياً لإقامة الدولة الإسلامية !

وأقول: يا سبحان الله ! أليست الدولة الإسلامية قائمة قَبل ذلك في العراق، وقد أثنى عليها إمام المجاهدين الشيخ أسامة، بل وأثنيت أنتَ عليها فَقُلت: (أود أن أوضح أنه ليس هناك شيء في العراق اسمه القاعدة، ولكن تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين اندمج بفضل الله مع غيرهِ مِن الجماعات الجهادية في دولة العراق الإسلامية حفظها الله، وهي إمارة شرعية تقوم على مَنهج شرعي صحيح، وتأسست بالشورى).

ألم تُثنِ يا شيخ أيمن على أبي بكر البغدادي حين صارَ أميراً للدولة الإسلامية وتمدحهُ نثراً وشِعراً ؟

أليست الدولة الإسلامية قائمة الآن في الشام كما هي في الرقة وغيرها، وقد تحقَقَت فيها شروط الدولة "الحاكم والرعية والأرض" ؟

ألم يُرسل الأمير البغدادي جنوداً مِن جنود دولته "الجولاني ومَن معه"، للقتال في الشام وتوسيع رُقعة الدولة الإسلامية ؟

ألم يعترف بذلك الجولاني بقوله عَن أبي بكر البغدادي: (الشيخ الجليل الذي وفّى لأهل الشام حَقّهم وردّ الدَين مُضاعفاً ووافق على المشروع، ثم أردفنا بشطر مال الدولة رغم أيام العسرة التي كانت تَمُر بهم)، وإذا كان الأمر هكذا فكيف تتعامى عَن الحقيقة يا شيخ أيمن، وتُصر على السماع مِن طرفٍ واحد، وتُحّكم واحداً مِن خصوم الدولة، وتبني أحكامك على ظُنون واهية بلا دليل ولا بينة، وتقف مَع الجولاني العاصي ؟

أهو اعتراف مِنك بحدود سايكس بيكو الصليبية ؟ أم هو تغير في الرؤية ونُكوص عَن المنهج وتأثر بالمناهج المنحرفة المبتدعة كما شهد بذلك الخرسانيون ببيانهم ؟

أم هي حِزبية مَقيتة ومُحاولة لإعادة تنظيم القاعدة إلى المنطقة ؟

ثم، كيف ترضى ياشيخ أيمن بمبايعة الجولاني العاصي لك، وخَلعهُ لبيعة أبي بكر البغدادي ؟ أين عقيدة أهل السنة والجماعة ووجوب الوفاء بالبيعة، وطاعة الأمير ولزوم الجماعة ؟

مَن الخارجي يا تُرى، أهو أبو بكر البغدادي ؟ أم أبو محمد الجولاني ؟

ثم كيف تُعلن حَلّ تنظيم القاعدة في العراق وقيام إمارة شرعية مستقلة، ثم تخرج بعد ذلك وتأمر بالتجديد لأبي بكر أميراً للعراق سنة واحدة، ومتى كُنتَ له أميراً حتى تأمر بتوليته أو تنحيته، وتتدخل في شؤون إمارتهِ بتنصيبهِ على العراق وتنصيب الجولاني على الشام، ثم يخرج بعد ذلك بيان مِن القاعدة العامة لتنظيم القاعدة ومَفادهُ أننا لم نستشر بقيام الدولة الإسلامية ولا علاقة لنا بها ؟!

سبحان الله! بالأمس كانت الدولة الإسلامية إمارة شرعية لها دَين في عُنق كلَ مسلمٍ، واليوم صارت جماعة جَهل وهَوى وطَمع وظُلم وتنطع وسفكٌ للدماء، لم نُستشر في قيامها ولا علاقة لنا بها، ما هذا التناقض في البيانات يا شيخ أيمن ؟ وما هذا الاضطراب في المنهج يا حكيم الأمة ؟ وما هذه الحزبية المقيتة يا شيخ الجهاد ؟

وخِتاماً أقول لكَ يا شيخ أيمن: اتقِ الله في دولة الإسلام الفَتية، ولا تكن مِعوَل هَدمٍ لها، واتقِ الله في دماء المسلمين ولاتكن مُشعلاً للفتنة، إتقِ الله في المجاهدين، فلا تَنشر بينهم الحزبية المقيتة، إتقِ الله فإن الظُلم ظُلماتٍ يومَ القيامة.

وهذا نداءٌ للمسلمين مِن المجاهدين وغَيرهم: والله إنّ الشيخ أيمن مِن مشائخ الجهاد، ولكنّ الله ابتلاكم به ليَعلم مَن تتبعون وبقول مَن تأخذون، وبأمرِ مَن تأتمرون، فاتقوا الله وقَدّموا الحقّ على أقوالِ الرجال، ومَرضاة الله على مَرضاة غيره، ولا تجاملوا في دينكم أي أحد كائناً مَن كان،

وابحثوا عَن الحقيقة بصدق وإخلاص وستجدونها بإذن الله، وانصروا أمير المؤمنين، قائد الغُر المحجلين: فاروق زمانه والمقدم على أقرانه، ناصر أهل التوحيد والسنة وقامع الرافضة والنصيرية والمبتدعة، وجنوده الأشاوس الأبطال، ليوث الإيمان، وأسود الإسلام، الماضين في تأسيس الخلافة الراشدة على أرض الشام المباركة.

وإلى أمير المؤمنين، مُرعب الرافضة والمرتدين، وناصر المؤمنين الموحدين، أبي بكر البغدادي، تلميذ أبي مصعب الزرقاوي: إمضِ راشداً مؤيداً مَنصوراً مؤزراً في طريق الجهاد وتحقيق التوحيد لرب العباد، وحرب الطواغيت، والجاعلين لله الأنداد، ولا تلتفت لكل مَن زلّ عَن الطريق أو حاد، ولا إلى كلِ مُخذلٍ مُرتاب، ولا إلى كلِ مُبطلٍ للحقّ جَحّاد.

وإليكم ياجنود الدولة الإسلامية: أوفوا ببيعتكم، وأطيعوا ولي أمرِكم ما لم يأمركم بمعصية ربكم وأبشروا بالخير والنصر مِن إلهكم.

وإليكم ياجنود جبهة النصرة: يا مَن كان في قلبه مثقال ذرةٍ مِن خير وعزة: اتقوا الله في دماء الموحدين مِن جنود الدولة، ولا تُطيعوا الجولاني واعصوا أمرَه، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصيةِ ربهِ، بل انبذوا الجولاني العاصي وانشقوا عَن جبهته والتحقوا بجنود الدولة مِن أهل التوحيد والسنة، فذلك بإذن الله خيرٌ لكم في الدنيا والآخرة.

وأخيراً: اتقِ الله أيها الجولاني، وتُب إلى رَبك عمّا وقعتَ فيه مَن نزَع يَد الطاعة ومَعصية أميرك والخروج عليه، واتقِ الله في دِماء المجاهدين والمهاجرين وأعراضهم، ولا يَغرنّك كَثرة مَديح المتقربين، وإطراء المتملقين وثناء المبتدعين، ومَكر الكفرة والمرتدين، الذين جعلوا النفاق مادة ومَكسباً، والتَمَلق خَديعة ومَلعباً.

واعتبر بما قال القائل:

يا جاهلاً غَرّه إفراطُ مادحــهِ   لا يغلبنّ جَهل مَن أطراك عِلمَك بِكَ

أثنى وقال بلا عِلمٍ أحاط بهِ   وأنتَ أعلـــمُ بالمحصول مِن ريبــك

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تنصر كتابك ودينك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين في العراق والشام وفي كل مكان، اللهمّ مَن أراد المجاهدين الموحدين بسوءٍ فاجعل كيدهُ في نحرِه وتخطيطه تدميراً عليه، اللهمّ اكشف عَواره، وافضح أسراره، واجعله عِبرةً للمُعتبرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه/

أبو السَعد النجدي

غَفَر اللهُ له ولوالديه وزوجه وذريته